سلسلة مطويات شبكة بينونة

فوائد قرآنية ٢٣

أمثال القرآن

الشيخ
يوسف بن حسن الحمادي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ من علوم القرآن النافعة، وأشرف وسائل تعليمه المفيدة، في بيان الوعظ، والحث على الأعمال الصالحة، والزجر عن الأفعال السيئة، وتقريب المراد من المعاني والأحكام للعقل: الأمثال، نعم، أمثال القرآن التي غفل عنها كثير من قراء القرآن، فإنها من أجلِّ أبواب تدبر القرآن والتفكر في معانيه، ومن أدلِّ علامات الإيمان، ولذا أمر الله بالتفكر فيها للوقوف على فوائدها فقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الحشر: ٢١].

وذلك أنَّ التفكر في الأمثال والتأمل فيها يورث الاعتبار والاتعاظ والتذكر وعقل الخطاب عن الله تعالى على وجهه الصحيح، وقد نبَّه الله على هذه الثمرة بقوله: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥]، وهذا كقوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧].

وأمثال القرآن كلما تدبرها قارئ القرآن وازداد تأملاً فيها؛ أنِسَ عقلُه، وانشرح صدرُه، وعَظُم تفكيره، ونمت بصيرته، واشتدَّ إدراكه، وكثُر فهمُه؛ وذلك لما في هذه الأمثال من تقريب المعقول من المشهود، وتوضيح المعاني النافعة وتمثيلها

«بالأمور المحسوسة، فيصير القلب كأنه يشاهد معانيها رأي العين»[1]؛ وذلك أنَّ المعاني المعقولة لا تستقر في الأذهان في كثير من الأحيان إلا إذا صيغَتْ في صورة حسية قريبة للفهم، فعندها يُدركها القلب، ويتصورها العقل تصوراً سليماً، فيهتدي المؤمن المُقبِل على تلاوة كلام ربِّه جَلَّ وَعَلَا بهذه الأمثال؛ وتكون صلاحاً لقوله وعمله وقلبه وعقله وأخلاقه.

قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ضَرْب الأمثال في القرآن يُستفاد منه أمور التذكير والوعظ، والحث والزجر، والاعتبار والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس، بحيث يكون نسبته للعقل كنسبته المحسوس إلى الحس، وقد تأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر»[2].

ولعِظَم العلم بأمثال القرآن، وتعدد فوائدها، وتنوع خيراتها التي تعود على قارئ القرآن قال عمرو بن مُرَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أكره أن أُمرَّ بمَثَل في القرآن فلا أعرفه؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾»[3].

(١) القواعد الحسان للسعدي (ص:٦١).
(٢) بدائع الفوائد لابن القيم (٤/١٣١٤).
(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/٩٥).

وقال الإمام المفسِّر قتادة بن دعامة السدوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ناصحاً ولافتاً النظر إلى هذا العلم من علوم القرآن: «اعقِلوا عن الله جلَّ وعزَّ أمثالَه؛ فإنه قال: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾»[٤].

والمَثَل: هو عبارة عن قول شيء يُشبِه قولاً في شيء آخر، بينهما مشابهة؛ لتبيين أحدهما من الآخر وتصويره.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيِّناً معنى المَثَل: «تشبيه شيء بشيء في حُكْمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسَيْن من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر»[٥].

«وفي القرآن بضعة وأربعون مَثَلاً»[٦]، عامَّتها في تقرير الإيمان، وبيان التوحيد، وشرح ما يضاده من الكفر والشرك، وفيها «بيان مراتب الأعمال من الخير والشر والكمال والنقصان»[٧]، إلى غير ذلك مما يدركه المتفكِّر في أمثال القرآن والتأمل فيها.

ومن أمثلة أمثال القرآن قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥].

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٦٨٦/٤).
(٥) إعلام الموقعين لابن القيم (٢٧٠/٢).
(٦) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١٣٨/١).
(٧) القواعد الحسان للسعدي (ص:٦٥).

فهنا «مثَّل الله كلمة التوحيد بالشجرة الطيبة التي تؤتي أُكُلها كل حين بإذن ربها، فكذلك شجرة التوحيد ثابتة بقلب صاحبها معرفة وتصديقاً وإيماناً وإرادة لموجبها، وتؤتي أُكُلها وهو منافعها كل وقت من النيَّات الطيبة والأخلاق الزكية، والأعمال الصالحة والهدي المستقيم، ونفع صاحبها وانتفاع الناس به، وهي صاعدة إلى السماء لإخلاص صاحبها وعلمه ويقينه»[٨].

ومَن تطلَّعت نفسه إلى فقه هذه الأمثال وعَقْل مقاصدها فعليه بما دوَّنه العلماء الراسخون في هذا الباب، ولعل من أقرب المؤلفات في ذلك كتاب الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٢/٢٧٠-٣٣٠)، وبما كتبه العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابيه «القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن» في «القاعدة الثانية والعشرون في مقاصد أمثلة القرآن»، وفيما سطَّره في كتابه الآخر النافع المفيد «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان».

وختاماً: فإنَّ إدراك أمثال القرآن وعقلها تتطلب من قارئ القرآن دوام استغفار وإنابة إلى الله، وطهارة في القلب، وصفاء في الذهن، وزكاء في النفس، وإخلاص في الأعمال، ولزوم لتقوى الله، وتجرد الهمم للتلقي عن الله تعالى هذه الأمثال،

(٨) المرجع السابق (ص:٦٢).

والإقبال التام عليها بإنصات وتعقل وتفكير[٩]، فقد دعا الله عباده إلى هذا بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ [الحج: ٧٣].

والحمد لله رب العالمين.

(٩) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم (٢/ ٣٠٤).